مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة الجزائرية

أ.بونقاب مختار

جامعة معسكر

إن المتتبع لتاريخ الجزائر إبان الثورة التحريرية، لا يمكنه المرور دون التوقف عند تلك المواقف والإسهامات الوطنية الثورية التي عبر عنها الرجال والنساء -على حد سواء للوصول إلى الحرية والاستقلال..

وإذا كان الحديث عامة يميل إلى أعمال وأدوار الرجال فان النساء في كثير من الحالات و المناسبات لعبن الدور الأساس في عملية التغيير أو النجاح بوقوفهن إلى جانب الرجال تارة، او مساهمتهن الفردية تارة أخرى .

تلك هي حالة المرأة الجزائرية خلال الثورة وقبل الثورة وبعدها يحفظ لنا التاريخ مقاومة لالة فاطمة نسومر ،والدور البطولي لجميلة بوحيرد مرورا بفطيمات وجميلات كثيرات.

في هذا السياق جاءت مداخلتنا الموسومة ب "مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية «، محاولين الإجابة على جملة من التساؤلات أهمها:

-ما مدى مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة الجزائرية ؟

-هل اقتصر دورها على العمل العسكري ؟ أم تجاوزه إلى مشاركات أخرى ؟

-هل جاءت مشاركة المرأة في الثورة عفوية ؟ أم كانت نتاجا للوعي السياسي الذي وصلت إليه؟

للإجابة عن هذه الأسئلة و أخرى ،حاولنا جمع بعض الكتابات التاريخية حول الموضوع والتي تتضمن شهادات عن المرأة الجزائرية والثورة التحريرية ومن ثم تقديمها في شكل موجز كمساهمة متواضعة بغية إثراء هذا الموضوع.

المرأة الجزائرية قبل الثورة:

عرفت المرأة الجزائرية حياة قاسية وظروف صعبة كالجهل والفقر والتهميش ،إلا أن ذلك لم يكن يعن الاستسلام والفشل ،كما أنه لم يكن يشمل كل النساء ، فبعضهن ثبت أمام المحن وصدم أمام الشدائد.

زيادة على مشاركة المرأة في الفلاحة والحرف ومختلف الأعمال فان اسمها يبرز خلال فترة الاحتلال من خلال فاطمة نسومر [1]كبطلة وقائدة مقاومة ،ليتطور دورها في فترة لاحقة مع ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان لها دورا رياديا في تعليم المرأة للنهوض بالمجتمع الجزائري .كان ابن باديس يحث على وجوب تعليم المرأة على أساس الدين والقومية والأخلاق[2].

بعد حوادث ماي 1945 برز نضال المرأة الجزائرية جليا من خلال الخلايا النسوية لحزب الشعب التي تولد عنها "اتحاد نساء الجزائر « وجمعية النساء المسلمات الجزائريات ». أما خلال الثورة فلم تتخل المرأة الجزائرية عن واجبها إلى جانب الرجل على اختلاف مستوياتها وطبقاتها الاجتماعية.

المرأة الجندية (المجاهدة) :

أحدثت مشاركة المرأة في الكفاح المسلح إلى جانب الرجل انقلابا جذريا في المفاهيم والأفكار[3].وقد استقبل جيش التحرير المرأة المجاهدة باعتزاز وفخر واحترام، وهي التي وهبت نفسها في سبيل تحرير الوطن ،واعتبرت بنت جبهة التحرير وجيش التحرير الوطنيين .فبرزت شخصيتها وأدركت أنها تعيش في عالم جديد يسوده الصفاء والإخاء[4].وهذا ما أشاد به مؤتمر الصومام المنعقد في أوت 1956.إذ جاء في مقرراته :"إننا لنحيي بإعجاب وتقدير ذلك المثل الذي نضرب به في الشجاعة الثورية الفتيات والنساء والزوجات والأمهات ذلك المثل الذي تضرب به جميع المجاهدات اللاتي يشاركن بنشاط كبير بالسلاح أحيانا في الكفاح المقدس في سبيل تحرير الوطن" .[5]

ومنه يتبدى لنا التقدير الذي كان يكنه رجال الثورة خاصة والشعب الجزائري عامة للمرأة الجندية التي تخلت عن مهمتها الطبيعية لصالح مهمة أكثر أهمية ، لها من الأولوية ما جعل المشاركة فيها أمرا ضروريا تفتضيه ظروف البلاد وأوضاع العباد، فقامت بأدوار جديدة (الجهاد) تعبيرا منها عن مساندتها للرجل وتعاطفها معه من ناحية وتأكيدا على أن المرأة الجزائرية لن تتخلى عن وطنها وشرفها فهي أيضا تلبي النداء كلما استدعى الأمر ذلك.

وعن الأعمال التي كانت تقوم بها المجاهدة في جيش التحرير تذكر هند قدير: «ترتدي الجندية الزي العسكري مثل الجنود وتحمل سلاحا أوتوماتيكيا من نوع الرشاشة أو البندقية، ولها مسدس وقنابل يدوية تعلق في حزامها ،تبقى هؤلاء الجنديات بصفة مستمرة مع فرق

الجيش التي تنظم إليها وتسير معهم ليل نهار في جميع تنقلاتهم سواء أيام السلم أو أيام الحرب والمعارك ".[6]

تميزت المرأة الجزائرية بصلابتها و قوة تحملها الصعاب وصبرها أمام الشدائد ،كما أن دورها في الحروب والمعارك لم يكن يختلف أو يقل في كثير من الحالات عن دور المجاهد. وتورد أنيسة بركات ما يعزز ذلك وهو أن بعض المجاهدات الآتي يتميزن بالكفاءة والشجاعة تمكن من الوصول إلى مناصب قيادية والاضطلاع بمسؤوليات ثورية هامة.[7]

قام بعض النساء بدور المحافظة السياسية ومراقبة الجنديات والاطلاع على الوضع السياسي والاجتماعي عامة .إضافة إلى تقديم دروس حول مبادئ الثورة والقيم النضالية ،وكذا التعرف على موقف الجنديات من جيش وجبهة التحرير ،قد يستمر هذا العمل عدة أشهر تنتهي برفع تقريرها إلى الجهات المسؤولة .[8]

يتجسد ما ذكرناه في تقديم صورة عن بعض المجاهدات وما برهن عنه من شجاعة و إقدام على الكفاح والتضحية :

-ملكية قائد: كانت مثال للجندية التي لا تتخلى عن بذلتها العسكرية مثلها مثل رجال جيش التحرير ،وسلاحها لا يفارقها أبدا .لقد إستشهدت وهي تطلق النار على حصار شنه عليها جنود العدو في منطقة القبائل .[9]

المرأة الفدائية :

يتمثل دورها في تنفيذ العمليات في المدن ،فهي تعيش وسط السكان ،لا ترتدي الزي العسكري بل تبقى بزيها النسوي المعتاد حتى لا تثير شكوك السلطات الاستعمارية ،فأغلب الفدائيات من الطالبات اللائي تركن دراستهن إثر إضراب الطلبة بتاريخ 19ماي 1956.

تتميز الفدائية بتربية مثالية وتتصف بخصال سامية كالصمود والصلابة وهي مشحونة بالسرية المطبقة ،لا تهاب الموت .تهتم بتنفيذ عمليات بالغة الأهمية كتدمير مراكز العدو،و الهجوم على مراكز الشرطة والمقاهي والحانات ومناطق تجمع المستوطنين زيادة على اغتيال جنود العدو والخونة.[10] وعن تأثير هذه العمليات يذكر محمد قنطاري" أنها أحد أشكال الحرب النفسية فهي تعمل على نشر الرعب والفزع في صفوف الفرنسيين وبالتالي إفشال قوتهم وانهيار معنوياتهم ".[11] وغالبا ما كانت الفدائيات تقمن بمهامهن في وضح النهار دون أن يشعر بهن أحد

، وبعض الفدائيات كن يساهمن في صنع المتفجرات ويمكثن أياما عديدة داخل المخابئ القائمة في بطون الديار.[12]

إن حرب الحقائب هو المصطلح الذي كان يطلق على أعمال الفدائيات الجزائريات خلال الثورة التحريرية ضد الاحتلال الفرنسي وإن حملة الحقائب كان الاسم الذي يطلق على هؤلاء الفتيات كون الحقيبة كانت محل ومكان السلاح أو القنبلة .غالبا ما كانت الفدائيات يلبسن الزي الأوروبي ،ويتصرفن وفقا للنمط الفرنسي حتى يتمكن من اجتياز حواجز الجيش الفرنسي دون مشاكل .

تعد حسيبة بن بوعلي من بين البطلات الجزائريات،كانت تعمل ضمن شبكة سرية مهمتها نقل وتوصيل المصنوعات المتفجرة من مكان صنعها إلى أماكن توزيعها وزرعها في العاصمة .[13] تزايد نشاط حسيبة النضالي ضد قوات الاحتلال ،وتمكنت من تدويخ ضباط المخابرات الفرنسية ،ونجدها في النهاية تفضل الاستشهاد تحت ركام بيت بالقصبة على أن تسلم نفسها للجلادين.

لا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى الجميلات الثلاث :جميلة بوحيرد،جميلة بوعزة جميلة بوباشة ،اللواتي كن مثال لشجاعة المرأة الجزائرية وتحديها لوسائل التعذيب .[14] وقد أثرن إعجاب العالم لمواقفهن وأعمالهن البطولية ،وتحركت عدة جهات سياسية وإنسانية لرفع حكم الإعدام الذي أصدرته السلطة الفرنسية في حق جميلة بوحيرد فوصلت بذلك إلى مصف العالمية .[15]

المرأة المسبلة :

زيادة على عملية الإتصال بين الجبهة وجيش التحرير ،تقمن المسبلات بأعمال مختلفة ومهام عدة كحراسة المجاهدين أثناء تنفيذ عملياتهم ،حتى الوصول إلى مواقعهم، وكذا إخفاء سلاح الفدائيين بعد إنجاز عملياتهم ومرافقتهم إلى الأماكن الآمنة .

وقد لخصت يحياوي مسعودة دور المسبلات في المهام التالية :[16]

التموين : إذ تعد المسبلة بمثابة الرئة التي يتنفس بها جيش التحرير الوطني من خلال ضمان استمرارية تموين المجاهدين و المناضلين .

الإيواء: وذلك باستقبال المجاهدين في منازلهن التي تحولت إلى مراكز التقاء واجتماع.

الاستعلامات: تنتقل المسبلات من مكان لآخر للاستطلاع على مواقع الجيش الفرنسي وجمع المعلومات بشأن كل تحركاته وتوجهاته ،لتجنيب أفراد الثورة من الوقوع في الكمائن .إذ وصل ببعضهن الأمر إلى حد الزواج من فرنسيين بهدف الحصول على معلومات من قوات الجيش الفرنسي .[17]

تؤكد هذا الدور أنيسة بركات حين تقول: كانت (المسبلات) تهتم بالاتصال بين الجبهة والجيش، وتقوم بحراسة المجاهدين أثناء عملياتهم التدميرية، وبعد تنفيذ مشاريعهم تصونهم وترافقهم إلى مراكزهم متحدية يقظة العدو، وأحيانا تخفي السلاح وتحمل الوثائق السرية إلى المسؤولين المكلفين بها ،وتشتري الأدوية واللوازم التي يحتاجها الثوار ثم تؤديها رغم حراسة القوات الفرنسية وحملات التفتيش .[18]

في هذا السياق نستشهد باعتراف جاك ماسو في كتابه "معركة الجزائر الحقيقة "الذي أشار إلى الدور البارز الذي لعبته المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية قائلا : "لقد حملت المرأة الجزائرية القنابل ووضعتها في الأماكن المناسبة وأصبحت جماعة تشكل شبكة حقيقية بفضل أجهزتها وجمالها الفاتن والبراءة المصطنعة في سلوكها استطاعت بكل سهولة أن تخترق الأوساط التي تريدها دون إثارة انتباه العدو... وتمكنت من تنفيذ مهام ذات ثقة..".

في ختام هذه الورقة يمكننا رصد النتائج التالية:

- إن مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة كان نتاج وعيها وإدراكها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها اتجاه وطنها ،وإن دورها لم يكن محصورا على الجانب العسكري النضالي فحسب، بل تواصل مع أدوارها الاجتماعية ،التربوية والاقتصادية .

- من المواقف المشرفة للمرأة الجزائرية هو تبرع بعض الفتيات بمهورهن لصالح الثورة .كما نسجل رفض بعضهن الزواج برجال لم يلتحقوا بالثورة.

- تحدت المرأة الجزائرية في السجون والمعتقلات سياسة الاستعمار الفرنسي ومختلف أساليب وفنون التعذيب بصمودها وثباتها، بل ساهمت في إرشاد وتوعية المعتقلين الأميين وبذلك تحولت المحتشدات إلى مدارس لتكوين إطارات جبهة التحرير.

- امتد دور المرأة الجزائرية إبان الثورة إلى خارج البلاد واتسعت أعمالها إلى صنع المتفجرات وتنظيف الأسلحة وإعداد الأدوية ،وخياطة الملابس والأعلام الوطنية وإعداد التقارير

والمنشورات واستقبال اللاجئين وإسعاف الجرحى والمشاركة في المظاهرات للتعريف بالقضية الجزائرية ،وجمع الاشتراكات والأموال للثورة.

- وتبقى المرأة الجزائرية رافضة لكل أنواع الاستغلال و الاستعباد والانقياد طامحة إلى الحرية و الانعتاق ،ولن تتخلى عن مسؤولياتها ولن تبخل عن الجزائر بكل ما لديها، إذ كانت ولا تزال سخية معطاءة كيف لا و الأمر يتعلق بوطنها الجزائر الذي سقته دماء الشهداء الطاهرة .

الاحالات:

[1]-فاطمة نسومر : قائدة مقاومة شعبية ضد الاحتلال الفرنسي تميزت بجمالها وأدبها وذكائها ،ولدت في عائلة محافظة أنظمت إلى ثورة بوبغلة ثم قاومت التدخل الفرنسي ببلاد القبائل.

[2]-بوضرساية بوعزة ، "دور المرأة الجزائرية المثقفة في الثورة التحريرية "،ملتقى كفاح المرأة الجزائرية، المركز 225.

[3]-بالرغم من مشاركة المرأة الجزائرية في المقاومات الشعبية ،إلا أن دورها تراجع بعد ذلك خلال فترة الحركة الوطنية ،ولذلك فإن بروزها خلال الثورة من جديد كان مخالف للعرف وغير الكثير من المفاهيم والأفكار عن المرأة .

[4]-أنيسة بركات درار،نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1985-ص29.

[5]-المدني أحمد توفيق ،حياة الكفاح،ج3،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981-ص260.

[6]-هند قدير،دور المرأة أثناء الثورة التحريرية ملتقى كفاح المرأة الجزائرية ،ط2-المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954-ص25.

7-أنيسة بركات درار، "نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية" ،الذاكرة العدد الرابع ،سنة1996، ص110.

[8]-بوصفصاف عبد الكريم ،جهاد المرأة الجزائرية وتضحياتها الكبرى في ولاية سطيف ،مطبعة عمار قرني،باتنة، 1997- ص26.

[9]-بشار قويدر، "قراءة في أدبيات نضال المرأة الجزائرية إبان الثورة "،ملتقى كفاح المرأة الجزائرية،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954-ص245.

[10]-راجع أنيسة بركات درار،نضال المرأة الجزائرية خلال ثورة التحرير أو محمد قنطاوي،من بطولات المرأة الجزائرية في الثورة وجرائم الاستعمار الفرنسي.

[11]-قنطاوي محمد،من بطولات المرأة الجزائرية في الثورة وجرائم الاستعمار الفرنسي ،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران2007،ص34.

[12]-كافي علي ،مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري ،دار القصبة للنشر ،الجزائر،2011،ص199.

[13]-الجنيد خليفة ،حوار حول الثورة ،ج1-موفم للنشر،الجزائر،2009-ص427.

[14]-بشار قويدر،المرجع السابق،ص245.

[15]-جاكر لحسن، "موقف الرأي العام العالمي من قضية جميلة بوحيرد "،محاضرة تحت الطبع بمؤسسة التميمي،تونس.

[16]-يحياوي مسعودة ،دور المرأة في الثورة التحريرية ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954-الجزائر2007-ص34.

[17]-نفسه،ص20.

[18]-راجع أنيسة بركات درار، "نضال المرأة الجزائرية "،الذاكرة،ص،ص،142-143.